Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن جمال الكلمة وقبحها يأتى إما من ناحية الجرس وإما من ناحية المعنى[1] ، « فعبد القاهر تكلم فى الجرس وعدم العناية به كلاما طويلا ، لايقوى على انكار كثيره هذا النص الأخير الذى عثرنا عليه فى آخر كتابه ، لدعاية المدلول الجرسى ، وان كان متفقا معهم فى المدلول المعنوى الذى قال فيه « متى بن يونس » المعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضح من المعنى ، والذى قال فيه « السيرافى » : « اللفظ طبيعى والمعنى عقلى[2] ، فشخصية عبد القاهر هنا واضحة يستطيع أن يدلل على وجودها ، لأنه رجع لمذاقة الحروف وسلامتها من الثقل ، فلم يجعلها وحدها كافية لاثبات المزية التى أرادها « أرسطو » .

أما ناحية المعنى فعبد القاهر محق فى تقريرها ، وهو بهذا التقرير يتفق مع ما يراه « علم النفس اللغوى الحديث » . فاللفظ متحمل بمعناه ، ولايمكن أن نتصور لفظا من غير فكرة ، والفكرة سابقة على اللفظ ، واذا كان الطفل قادرا على الفهم قبل أن يقدر على الكلام . كان معنى هذا أن فهم مدلول الفكرة سابق على فهم مدلول اللفظ ، ومتى عرضت الفكرة للطفل وتأثر بها عبر عنها أولا بالتعبير الذى يراه من مقاطع تدل على كلمات ، ومن أسماء تدل على أفعال ، ومن كلمات تدل على جمل ، انتظارا للغة الاجتماعية التى يتعلمها بألفاظها وبما تحمله هذه الألفاظ من معان وأفكار . على أن الأفكار متى وجدت لاتعمل وحدها ، ولكنها تتطلع من نفسها بطبيعتها . إلى ان تدرك غايتها . ولا غاية لها إلا فى الحقيقة التى تقررها بعبارة من العبارات أى بالألفاظ[3] فلا بد أن نفهم مع « عبد القاهر » أن المعنى هو المتحكم فى اللفظ ، وهو الذى يستدعيه ، فهى فكرة صحيحة من الناحية العلمية . واذا نظرنا إلى المسألة من ناحية أخرى وجدنا ان الفكرة (المعنى) لاتستدعى اللفظ اذا كانت جنينية ، أى قبل اكتمال خلقها ، فاذا اكتمل خلقها واجتمعت لها صفاتها ، وحددت تحديدا حقيقيا . أى اذا وصلت إلى منتهاها ، وثبت اليها الكلمة المواتية وثبا . هذا هو مكمن السر فى كلام عبد القاهر حينما يدعو الأديب إلى المعنى . وإلى التفكير فيه ، قبل التفكير فى اللفظ ، فمتى دق المعنى وتحدد ، وانس بالبيئة التى ورد فيها الكلام ،

---

(١) راجع صفحة ١٥٤ وما بعدها .

(٢) راجع المناقشة بين السيرافى وعلى بن يونس .

(٣) دلائل الإعجاز صفحة ٤٨ .